المحاضرة الرابعة+الخامسة: التجديد الشعري في المشرق

يرتبط التجديد الشعري من حيث انتمائه المكاني المشرقي بظهور القصيدة الرومانسية بأبعادها الإنسانية وخصائصها الفنية وموضوعاتها المتناولة مثل الألم والحزن، اعتمادا على الخيال، مع الانتقال من فكرة إلى فكرة بأسلوب انسيابي، وتتسم بوحدتها العضوية الأكثر تآلفا وانسجاما مقارنة بالقصيدة الكلاسيكية، لذا تتسم مضمونها العاطفي وقدرتها على التصوير واهتمامها بمظاهر الطبيعة التي اعتبرت ملاذ الشعراء للتعبير الرومانسيين عن آمالهم وهمومهم فهي عودة بالشعر إلى الذات بتصوراتها وتجاربها ونظرتها إلى الحياة.

ومن التكتلات التي انتهجت في أشعارها نهجا تجديديا نذكر تكتلين كان لهما دور لافت في مسار الشعر الحديث:

1- التكتل الأول- جماعة الديوان:

وتضم كلا من عباس محمود العقاد (1889-1964)، وعبد القادر المازني (1889-1949)، عبد الرحمن شكري (1886-1946). " قامت على ثلاثة شبان تثقفوا ثقافة انجليزية، مع أنهم تأثروا بالمدرسة الرومانسية الإنجليزية أكثر من غيرها"[1].

قاد الشبان الثلاثة حركة التجديد في الشعر العربي الحديث، متأثرين بالنزعة الرومانسية عند خليل مطران، وقام العقاد بنشر آراء تجديدية منها: رفض اتجاه المدرسة الاتباعية، والتعبير عن تجربة شعورية ذاتية، فكان الشعر بالنسبة لهم مناجاة الروح والخيال، وتعبير عن خواطر إنسانية، واعتمدوا على البعد الوجداني للشعر ونشدان الحرية وتقديس العاطفة واللجوء إلى الحلم عبر المكان بريادة البلدان البعيدة أو عبر الزمان بالارتداد إلى القرون الغابرة[2].

لذا آمن هؤلاء بالوحدة العضوية للقصيدة ووحدة الموضوع وسلاسة الأسلوب، مع نبذهم لشعر المناسبات الذي يعيق حركة الوجدان لهذا كان شعار جماعة الديوان (ألا يا طائر الفردو س أن الشعر وجدان)[3].

---

[1]- مسعد بن العيد العطوي، الأدب العربي الحديث، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2009، ص84.

[2]- نسيب النشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص158.

[3]- ناصر بركة، محاضرات النص الأدبي الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص21.

إن مقالات العقاد والمازني هي أول حركة ثورية على نظام القصيدة العربية القديمة، ذلك النظام الذي يعجز بصورته التقليدية عن إعطاء رؤية محدودة للوجود، من خلال تصويره الفني، إذا استثنينا بعض التجارب الفنية، مثلما هو الحال عند أبو الطيب المتنبي والمعري.

تكاد تنحصر حملات النقد التي شنها العقاد والمازني على أنصار القديم في مسألتين:

1- البناء التقليدي للقصيدة العربية الذي كان ينصرف عن موضوعات الحياة إلى أغراض الشعر القديمة من عزل ومدح ووصف وهجاء.

2- شعر المناسبات الذي لم يكن يستجيب لما يجيش في الصدور من خواطر ولم يكن يعبر عن تجربة حية، بقدر ما كان يستجيب إلى الصنعة والزخرف والرنين الخطابي، غير أن أبرز نقطة أثارتها جماعة الديوان هي قضية (الوحدة العضوية) أو الفنية للقصيدة، لأن من يدعو إلى نبذ البناء التقليدي للقصيدة القديمة، وإلى ضرورة توافر التجربة الشعرية التي يستجيب فيها الشعر لموقف عاطفي واحد[4].

حققت هذه الحركة تغييرا في القصيدة، يمكن إجماله فيما يلي:

- تخلص الشعراء من شعر المناسبات الذي كان يعتمد على بريق الألفاظ وزخرفة العبارة، ومالوا إلى تطبيق ما دعا إليه المازني عندما عرف الشعر بأنه خاطر لا يزال يجيش بالصدر حتى يجد مخرجا ويصيب متنفسا، وعرفه العقاد بقوله:" التعبير الجميل عن الشعور الصادق"[5].
- تحرر الشعر من الالتزام بالقافية الواحدة، مع التخفيف من صرامة الوزن القديم، ومحاولة تطويعه للتجربة الجديدة، فظهرت في بعض أشعارهم (القافية المزدوجة) التي تتحد في كل بيتين، بل لقد استطاع الشعر عند كثير منهم أن يتخلص من القافية.
- ظهور بعض ملامح المذهب الرومانسي عند طائفة من شعراء الديوان وجماعة أبولو، فغلبت عليهم نزعة القلق والأنين والشكوى والتبرم من الحياة يقول العقاد:" إذا كان هذا العصر قد هز رواكد النفوس وفتح أغلاقها كما قلنا، فلقد فتحها عن مساحة من الألم تلفح المطل عليها بشواظها، فلا يملك نفسه من التراجع حينا، والتوجع أحيانا، وهذا العصر طبيعته القلق والتردد بين ماض عتيق، ومستقبل قريب، وقد بعدت

[4]- محمد مصايف، جماعة الديوان في النقد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1982، ص293.

[5] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط3، د.ت، ص112.

المسافة فيه بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون، وبين ما هو كائن فغشيتهم الغاشية ووجد كل ذي نظر فيما حوله عالما غير الذي صورته لنفسه حداثة العصر وتقدمه[6]".

وقد ظهرت سمات هذه النزعة في شعر المازني وشكري، وفي شعر إبراهيم ناجي وعلي محمود طه، في هذا المقطع الشعري يصف المازني رجل العصر بقوله[7]:

يتلقاك بالطلاقة والبشـ ـر وفي قلبه قطوب العداء

كالسراب الرقراق يحسبه الظمـ ـآن ماء، وما به من مـاء

عاجز الرأي والمروءة والنفـ ـس، ضئيل الآمال والأهـواء

- تفاعل الشاعر مع الطبيعة واندماجه فيها، ومنها شكواه وآلامه وأوجاعه، كما في قصيدة المساء لخليل مطران التي نظمها سنة 1902 بالإسكندرية وكان عليلا، وقد خلع الشاعر على الغروب والبحر وأمواجه وصخوره ظلالا كئيبة، يقول فيها[8]:

متفرد بصبابتي، متفـــــــرد بكآبتي، متفرد بعنـــائـــي

شاك إلى البحر اضطراب خواطري فيجيبني برياحه الهوجـــاء

ثاو على صخر أصم، وليت لـــي قلبا كهذه الصخرة الصمـــاء

ومثل ذلك قول عباس محمود العقاد يخلع على الليل والبحر مشاعره الذاتية، يقول:

وترى البحر تحسب الماء حبراً وكأنَّ السماء أعماقُ بحرِ

ظلمات تحيط بالطَّرفِ أنِّي امتدَّ لم يعُد مدُّه قيدَ شبـــــرِ

وكهذا الظلام خيرٌ من النور إذا كِنتَ لا ترى وجه حُرِّ

هاهنا أُطلق العنان لأشجاني وأبكي نفسي وأُنشدُ شِعري

أما التكتل الثاني **(حماعة أبولو)** وهو تكتل أدبي ترأسه **(أحمد زكي أبو شادي[9])** الذي يعتبر من رواد حركة التطور في الشعر المعاصر في مرحلة التحول التي مهدت لظهور معالم التجديد في شكل

---

[6] – عباس محمود العقاد، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، دار المعارف، مصر، د.ت، ص112.

[7] – محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية: الشعر–المسرح–القصة–النقد الأدبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2010، ص121.

[8] – محمد زكي العشماوي، أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية، ص114.

القصيدة ومضمونها. جاءت هذه المدرسة لمنافسة المدرسة الجديدة التي مثلها مطران بمدرسة أكثر تجديدا وأقوى تحررا وأشد تأثيرا بالرومانسية الحديثة.

من العوامل التي هيأت لظهور جماعة أبولو:

- الخروج من القديم إلى الجديد.
- شدة تأثر شعراء هذا الاتجاه بالشعر المهجري، خاصة أدب جبران خليل جبران .
- تأثر شعراء هذا الاتجاه بالرومانسية الأوربية والانجليزية منها على وجه الخصوص.

كان لجماعة أبولو الدور الكبير والفعال في مسيرة الشعر العربي الحديث بما بذله أبو شادي والشعراء الرواد في هذا التكتل الأدبي مثل علي محمود طه، أحمد محرم (1877- 1945)، أحمد رامي (1892-1981)، إبراهيم ناجي[10] (1898-1953) صاحب رائعة "الأطلال" الشهيرة التي مطلعها[11]:

يا فؤادي رحم الله الهوى كان صرحا من خيال فهوى

اسقني واشرب على أطلاله وارو عني طالما الدمع روى

---

[9] – أحمد زكي أبو شادي شاعر وطبيب مصري (1892-1955)، كان يعمل وكيلا لكلية الطب ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبقي هناك حتى وفاته، كان إنتاجه الأدبي غزيرا وصدر له عدد كبير من الدواوين والمؤلفات، منها: الشفق الباكي(1926)، إحسان (1927) ، أشعة وظلال (1928)، الشعلة (1933)، فوق العباب (1935)، وله مؤلفات مسرحية منها: الآلهة (1927)، إخناتون فرعون مصر (1933). اتسم شعره الغنائي بالتنوع والشمول والغزارة والرغبة الجامحة في التطور والتجديد.

[10]– إبراهيم ناجي شاعر وطبيب مصري (1898-1953)، انضم إلى مدرسة أبولو سنة 1932 ، بدأ حياته الشعرية عام 1926 عندما بدأ يترجم بعض الأشعار عن اللغة الفرنسية والانجليزية، نهل من الثقافة العربية القديمة فدرس العروض والقوافي وقرأ دواوين المتنبي وابن الرومي وأبي نواس وغيرهم من فحول الشعر العربي، كما نهل من الثقافة الغربية. من دواوينه الشعرية وأعماله الأدبية: وراء الغمام (1934)، ليالي القاهرة (1944)، في معبد الليل (1948)، الطائر الجريح (1953). له مؤلفات عديدة في مجالات متعددة كالقصة وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وفن التراجم والسير، والخواطر العامة، والترجمات.

[11]– إبراهيم ناجي، ديوانه، دار العودة، د.ط، بيروت، 1980، ص 132.

تتحدث القصيدة عن معاناة شاعر فارق وعاش فراق محبوبته، وجسد ذلك بروح متألمة فقصائد إبراهيم ناجي أنموذج تمثيلي للنزعة التجديدية التي تبناها شعراء مدرسة أبولو وتعبيرهم بالصورة ولجوءهم إلى الطبيعة، لذلك اتجهت معظم الأبيات اتجاها وجدانيا يسيطر عليها الأنا.

يقول إبراهيم ناجي في قصيدته "على البحر" [12]:

هل أنت ســـــــــــامعة أنيني يا غاية القـــــلب الحزيـن

يا قِبلة الحـــــــــــــب الخفيّ وكعبـــــة الأمل الدفيـــن

إني ذكرتك باكـــــــــــــــيا والأفـــــق مغيّر الجبيـــن

والشمـــــــــــس تبدو وهي تغـ ـرب شبـــــه دامعة العيون

وهي الصورة التي ارتسمت في ذهن الشاعر وكثير من شعراء المذهب التجديدي تعبيرا عن حالتهم النفسية بقوة لغتهم ولإحساسهم المرهف الحزين.

أما وقفاتهم الاستهلالية فلم تعد تخضع للزمان والمكان مع التنويع في القوافي، واللجوء إلى الأوزان الخفيفة المناسبة للتلحين والإنشاد، كما استقوا مضامين أشعارهم من مظاهر الحياة فأصبحت اللغة إيحائية لا قاموسية[13].

وما يميز القصيدة الرومانسية تعمقها في تتبع مظاهر الكون وبخاصة القضايا الوجودية (الموت،الحياة)، النوازع النفسية (الشقاء، السعادة)، والظواهر الطبيعية (الشروق، الغروب)، والأحوال الشخصية (الفرح، البكاء)، وهو ما يفسر ميل شعراء هذا الاتجاه إلى توظيف الأسطورة.

خصائص جماعة أبولو على مستوى الموضوعات، يغلب على هذا التكتل التوجه إلى الحب والمرأة والطبيعة، الإفراط في الشكوى، واجترار الأحزان والآلام. أما خصائصه على الأسلوب وطريقة الأداء فهو

---

[12] – إبراهيم ناجي، الديوان، ص112.

[13] – محفوظ كحوال، المذاهب الدبية، مكتبة نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 2007، ص72.

اللجوء إلى الانسيابية في البوح، والعفوية في التعبير، وتشخيص المعنويات، وأنسنة الأشياء، ومحاولة بث الحياة والحركة فيها، وتجريد المحسوسات، واستخدام الرمز، والتجديد في الوصف وتوظيف الأسطورة[14].

أما على مستوى الموسيقى، فكانوا ينظمون القصائد المؤلفة من مقاطع تختلف قوافيها، وقد تختلف أوزانها من جزء إلى آخر.

أصدر أبو شادي مجلة (أبولو) في سبتمبر 1932، وهي أول مجلة أدبية رائدة في الشعر العربي التف حولها أدباء وكتاب كبار. ذهب أبو شادي إلى أن أي نهضة شعرية تتنكر لمبدأ التحرر اللغوي هي نهضة منتكسة، فنراه يشيد بروح السهولة في التعبير، ولا يعتبر البهرج اللفظي عنونا الإتقان الفني، بل هو عنوان الفقر والإفلاس، والبلاغة تكون في التعبير الرمزي غير المباشر الذي يقوم على الإشارة المضمرة بدل البيان المطول.

إن القاسم المشترك بين شعراء هذه الجماعة هو الغنائية الذاتية وحرية التعبير وجمال التصوير، والتغني بهواجس النفس وأحزانها.

[14] – عباس محمود العقاد، مراجعات في الأدب والفنون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1966، ص53.